

## الباب الرابع

- ١ - الإعلام في مفهوم الإسلام .
- ٢ - الغيث سقوطه على الأرض من أسرار السماء
- ٣ - الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها .
- ٤ - الخيل ومدى الإهتمام بها من جانب الإسلام .
- ٥ - أمة النمل من عجائب خلق الله .

## الإعلام فك مفهومي الإسلام

إن التصور الإسلامي لمفهوم الإعلام ، هو توصيل الحقائق الصادقة إلى الناس كافة وإشراكهم في تذوق هذه الحقائق وتمكينهم من الإيمان بها وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مَنْ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ، أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ، إِنَّكَ لَأَتَّهِدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

الحقائق المستخلصة من هذا النص القرآني :

في هذا النص المبارك تبرز حقائق ثلاثة :

الحقيقة الأولى : إن توصيل الحقائق الصادقة هو الإعلام الذي تستخدمه الدعوة الإسلامية في عملية الاتصال وتبليغ الدعوة إلى الله .

الحقيقة الثانية : إن الذين وصلت إليهم هذه الحقيقة شاركوا في تذوقها إلى درجة :

(١) سورة القصص ٥١ - ٥٦ .

١- أنهم رفضوا إغراء رافضى الإيمان من الكفار .

٢- وأنهم كانوا على مستوى الإيمان بالحقيقة التي تذوقوها فكان ردهم للأعداء ردًا جميلاً .

الحقيقة الثالثة : إن غاية الإعلام فى الجو الإسلامى ليس هو القهر والاستخفاف بعقليات الجماهير ، وإنما هو احترام إرادتهم وتقدير تفكيرهم :

١- فليس الداعية فى الإسلام بمسئول عن إدخال الناس فى الإسلام قهراً وجبراً .

٢- وإنما هو مسئول فقط عن توصيل الحق الأبلج واضحاً إلى الناس ، ثم هم يعد ذلك فى حرية تامة يختارون موقفهم إما الإيمان أو عدم الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (١) .

فليس الداعية فى الإسلام بمسيطر على الناس فى دعواه إلى الله ، إنما عليه البلاغ لهم فقط ثم بعد ذلك أمر الناس مفوض إلى الله يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

العملية الإعلامية هى عملية اتصال والاتصال يقوم على مجموعة من الأسس وضع علماء الإعلام شروطاً لها طبقاً لما يلى :

١- المصدر : اشترط فيه أن يكون موثقاً فيه من الجماهير ، وأن يكون قادراً على العطاء والمنع أى الثواب والعقاب .

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

٢- الرسالة : اشترط فيها أن تكون واضحة في العرض وفي الهدف المقصود منها ، وأن تحمل حدى العاطفة أى الرجاء والخوف .

٣- المستقبل : وهو المستهدف المراد تغيير عقله وشعوره واتجاهاته وتفكيره .

٤- القناة الموصلة : أوقاة الاتصال اشترط فيها جودتها ومواءمتها للظروف والمناسبات ورأوا أنه كلما كانت ذات اتصال شخصى تكون أكثر جدوى ، وأن تكون مرنة سريعة التأثير .

٥- الفائدة العائدة : بمعنى الاستجابة .

٦- المشاركة : وفيها يستقصر المستقبلون وهم المدعوون ويجيبهم الداعى عنها .<sup>(١)</sup>

التصور الإسلامى لشروط الأسس السابقة فى عملية الإعلام :  
إن التصور الإسلامى لشروط هذه الأسس واضح وجلى فى عملية التطبيق طبقاً لمايلى :

١- فالمصدر : فى التصور الإسلامى للدعوة ، هو وروده عن المعصوم رسول الله ﷺ : إنه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فالصورة التى دلت بها القرآن الكريم على وحدانية الله سبحانه وقدرته وجميل عطاياه وشديد عتابه أدخل فى مفهوم عملية الاتصال من تصور زعيم بشرى يبنى أو يهدد ، وذلك قدر متفق عليه من المسلمين والكفار معاً قال الله تعالى :

---

(١) بحث الأسس الإعلامية فى التصور الإسلامى للأستاذ الدكتور متولى يوسف حسن منشور بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ هـ مارس ١٩٨٤ م جزء ٦/ .

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال جل وعلا : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

٢- أمّا عن الرسالة فى التصور الإسلامى : فهى شهادة التوحيد ، الوهية واحدة ونبوة خاتمة وهذه الرسالة لم تكن محل تكذيب من القوم لكنهم يحجدون آيات الله قال تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

والدليل التاريخى على عدم التكذيب مع وقوع الكفر منهم ، أنهم لم يتهموه <sup>بالتكذيب</sup> قط بالخيانة لفظاً ولم يختاروا غيره أمينا على ودائعهم خلال وجوده بين ظهرانيهم بمكة المكرمة حتى كانت هجرته إلى المدينة فأتاب ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه ليؤدى عنه الأمانات إلى أصحابها<sup>(٤)</sup> .

٣- وعن المستقبل : وهو وإن لم يحفل به علماء علم الاتصال ، لكن الإسلام اشترط فيه أن يبلغ مأمته إذا كان فى حالة الحرب ، وفى ذلك قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة العنكبوت : ٦١ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٣ .

(٣) سورة الأنعام : ٣٣ .

(٤) كتاب نافذة على الإيمان تأليف الشيخ مصطفى الحليدى الطير مطبوعت مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(٥) سورة التوبة : ٦ .

ومعنى هذا أن الإسلام لا يوصل رسالته إلى الناس بالإرهاب ولا لمن يمنعه مانع ، فالمكره والناسى فى الإسلام خارجان عن مغبة الحساب حتى يرتفع عنهما السبب المانع ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> ويقول سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

٤- أما فيما يتعلق بقناة الاتصال : فإن رسول الله ﷺ جعل لها عديداً من الوسائل

- (أ) فاتخذ الزيارة الشخصية . (ب) والولاية .  
 (ج) والمؤتمرات الدائمة . (د) والمؤتمرات الخاصة .  
 (هـ) والسفارة . (و) والمعاهدة صلحاً أو هدنة أو أماناً .  
 (ز) وأخيراً المسجد فى عنصره المنير والمثدنة، فالمنبر ليرتفع فوقه الداعية فيكثر عدد المستمعين، والمثدنة ليعلو فوقها المؤذن فيتشتر صوته عبر طبقات الهواء إلى آخر مدى يمكن أن يصله الصوت، وهى أساس فكرة المكبر الصوتى ثم المذياع فى زماننا المعاصر. ومما سبق يتضح أن النظرية الإسلامية سبقت جميع مدارس علم الاتصال فيما يتعلق بتعدد وسائل قنوات الاتصال<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النحل : ١٠٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٣) بحث الأسس الإعلامية فى التصور الإسلامى بمجلة الأزهر المرجع السابق الإشارة

٥- وعن الفائدة العائدة : فهي في نظر المدارس غير الإسلامية حتمية لأن جهود الإعلام لا تبذل من أجل الإقناع الإرادى ولكن من أجل الاستجابة القسرية لمايث، لكنها في الإسلام لابد أن تكون إرادية يقول الله تعالى: ﴿فَهَبْ عَلَى الرُّسُلِ إِذَا الْبَلَغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup> وقوله جل وعلا: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَغُ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَغُ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله: ﴿فَذَكَرْنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

والتصور الإسلامى للفائدة العائدة ليس ثمرة للإعلام بل ثمرة شىء آخر هو :

٦- المشاركة من المستقبل للرسالة الموجهة إليه ، ويظهر ذلك فى كثير من الآيات والمواقف القرآنية .

أما الآيات : فمثاله قول الله تعالى :

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحَقِّمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلًّا ، بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٧)</sup> وقوله جل وعلا : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(١) سورة النحل : ٣٥ .

(٢) سورة النحل : ٨٢ .

(٣) سورة الشورى : ٤٨ .

(٤) سورة العنكبوت : ١٨ .

(٥) سورة آل عمران : ٢٠ .

(٦) سورة الفاشية : ٢١ ، ٢٢ .

(٧) سورة سبأ : ٢٧ .

تُوفِّكُونَ ﴿١﴾ وقوله سبحانه : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ .

أما عن المواقف القرآنية فمنها قول الله تعالى :

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ، أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ، بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ، قَالَ أَوْ لَوْجِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

وبعد : فإن الأساس الذي تقوم عليه العملية الإعلامية في الإسلام

هي :

أولاً : كرامة الإنسان حتى ولو كان غير مسلم . وكان الإسلام يعلن هذا التكريم في اللحظة التي تجمعت فيها جيوب كثيرة لمحارته يقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٤﴾ .

ثانياً : عدم الاستخفاف بعقلية الناس ، لأن الإسلام يهدف إلى هداية البشر عن طريق العقل ولذلك دعا القرآن الكريم إلى استخدام العقل العاقل

(١) سورة قاطر : ٣ .

(٢) سورة ساء : ٢٤ .

(٣) سورة الزخرف : ٢٠ - ٢٤ .

(٤) سورة الإسراء : ٧٠ .

الفاهم بالمشاركة فى الرسالة التى توجه إلى المدعويين إلى عقيدته أى المستقبليين لرسالته قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً : وإسلام لا يضلل المستمع فالكذب حرام والغش والمكر والخديعة فى النار يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

رابعاً : عدم إباحة الجدل على إطلاقه من أجل الغلبة والمرء المفضوح ، بل جعله الإسلام مشروطاً بالتى هى أحسن أدباً وغايةً يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة البقرة : ٢٤٢ .

(٢) سورة يوسف : ٢ .

(٣) سورة الحج : ٤٦ .

(٤) سورة التوبة : ١١٩ .

(٥) سورة الزمر : ٣٣ .

(٦) سورة العنكبوت : ٤٦ .

## الغيث

### سقوطه على الأرض من أسرار السماء

الغيث هو المطر ينزله الله في وقته بلا تقديم ولا تأخير ، وفي بلد لا يتجاوزه إلى غيره ، وبمقدار تقتضيه حكمته ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وبناء على هذه الآية الكريمة يتضح أن نزول المطر هو من ضمن مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها .

ويقول جل وعلا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٢) .

هذه الآية من سورة النور من أعجب الآيات الكونية في القرآن الكريم ، جاء فيها لفظ الجبال لاعلى التعريف ، كما فيما عداها من الآيات التي ذكرت فيها الجبال بلفظها ولكن على التنكير تعجباً منها وتنبهياً إلى دلالاتها في عظم السحاب الذي يشبه الجبال والتي من صفاتها العظم والرسوخ .

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

(٢) سورة النور الآية : ٤٣ .

ويذكر الله سبحانه وتعالى أنه يسوق السحاب بقدرته . ﴿ ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ ﴾ أى : يجمعه بعد تفرقه ، ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ﴾ أى : يجعله مترابكاً يركب بعضه بعضاً ﴿ فَفَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ أى : أن المطر يخرج من خلله<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ أى : أن الله سبحانه ينزل من هذا السحاب البالغ العظم حتى كأنه جبال ، والذي فيه من البرد أنواع ، برداً متنوع الشكل والوزن والتركيب مع ملاحظة أن سحب البرد دائماً ثقال جداً .

وقد وصفها العالم الروسى ن . كوليكوف بقوله : ( إنها تتميز بلون قاعدتها الرمادى وانقسامها إلى رقايع وأن قممها تبدو كجبل له نتوءات كالثلل صفراء غير منتظمة ، وهذه الجبال تبدو إذا أشرف عليها من أعلى كأنها مغطاة بملاءات من سحب متشعبة ككتل الصوف )<sup>(٢)</sup> .

فيصيب الله بمطر هذه السحب من يشاء رحمة لهم بشرهم منه وإرواء لحقولهم أو نقمة عليهم لما فيه من إتلاف زروعهم وأشجارهم ، ويصرفه عن من يشاء حتى لا تتلف زروعهم وأشجارهم رحمة بهم أو نقمة عليهم حتى يصيبهم الجفاف كما حدث لبعض الدول فى قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا فى السنين الأخيرة .

غفلة المسلمين عن آيات الغيث فى زماننا المعاصر :

كانت بلاد السودان الشقيقة ويقطنها الشعب السودانى المسلم من جملة البلاد الإفريقية التى نكبت فى السنين الأخيرة بالجفاف لفترات متتالية

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى المجلد الثانى - دار القرآن الكريم بيروت .

(٢) كتاب الإسلام فى عصر العلم تأليف المرحوم الدكتور محمد أحمد الغمراوى إعداد الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى طبعه سنة ١٩٧٨ .

نتيجة قلة نزول الأمطار عليها أو على هضبة الحبشة ( أثيوبيا ) مما أدى إلى نقصان الوارد منها إلى مياه النيل بدرجة كبيرة ، واضمحلال الزراعة نتيجة لذلك خصوصاً تلك التى تروى بمياه الأمطار ، ولما حلت تباشير الصيف فى خلال سنة ١٩٨٨ م ، اتصل بعض المسئولين هناك بمراكز الأرصاد العالمية فى أوروبا وكذلك بمركز الأرصاد المتخصص عن الأمطار فى مدينة لندن ، لتنبئها عن كميات المطر المتوقع نزولها فى موسم الأمطار فوردت تقاريرها جميعها تشير إلى ندرته وأن هذه الفترة كسابقتها امتداد لسنوات الجفاف .

فاطمأن رجال الدولة فى السودان إلى سلامة هذه التقارير ، ولم يهتموا إلى ضرورة تطهير مجارى نهر النيل وفروعه مما علق بقاعه وقاعها من رمال طيلة السنين الماضية ، كما لم يروا ضرورة منع المهاجرين من الجنوب إلى الخرطوم بسبب الحرب الأهلية من البناء العشوائى فى مجارى السيول .

ثم وقعت الواقعة وفوجئ السودان بل العالم كله فى أغسطس وأوائل سبتمبر بنزول الأمطار على أعالي النيل ، وعلى هضبة أثيوبيا وعلى السودان ، ولكثرتها ومدتها على السودان صارت سيولاً تجرف كل ما أمامها من أبنية ومنازل ومحصولات وفاض النيل من كثرة ما به من المياه على جانبيه قامتلات بها الشوارع والطرق ، واقتحمت على الناس بيوتهم فتهدم الكثير منها وأصبح كثير من الناس هناك بلا مأوى ولا مؤونة مما أدى إلى أن تطلب حكومة السودان العون والمساعدة من جميع أنحاء العالم وسرعة إغايتها من هذه النكبة الفاجعة<sup>(١)</sup> .

(١) صحيفة الأهرام القاهرية فى الأيام الماضية .

وشبيه بهذه الواقعة لكن بصورة أخرى ما حدث في دولة الإمارات العربية المتحدة فقد امتنع نزول الأمطار عليها في السنوات الماضية فأسرعت بعض الشركات الأجنبية واتصلت بالمستولين هناك وأبلغتهم بأن الأمر يسير ، ولا يستدعى القلق وأرسلت إليهم عددًا من الطائرات تحمل شيئًا من المواد الكيميائية حتى إذا ما سارت سحابة فوق تلك البلاد قامت الطائرات فوقها ورشتها بتلك المواد فأنزلت ما بها من المطر .

لكن بقيت الطائرات رابضة على أراضي الإمارات سنوات في انتظار مرور السحابة المنتظرة فلم تمر أبدًا، وعندما زادت حدة الجفاف وآذنت أبارها بالنضوب وفي ذلك ما فيه من شدة الكرب وهلاك الزرع، طلب أمير البلاد من شعبه اللجوء إلى الله بإخلاص ، والخروج لأداء صلاة الاستسقاء وكان هو على رأس شعبه في أداء هذه الصلاة . واستجاب الله جل وعلا :

فلم تمض بضعة أيام حتى امتلأت سماء البلاد هناك بالسحاب ونزلت الأمطار بغزارة روت الحرث والزرع وملأت الآبار وحدث كل ذلك أمام أعين طاقم الطائرات الأجنبية الرابضة على الأرض ودون أن تحرك ساكنًا<sup>(١)</sup> . قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، أَلَمْ يَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ الْأُثْقَى مُذْ لَقِينَا فَارْبَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وصدق الله فيما قال وفيما قضى .

(١) جريدة الأخبار القاهرية صدرت منذ عدة أسابيع .

(٢) سورة الرعد : آية ١٢ .

(٣) سورة الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ .

## الفتنة نائمة لهن الله من أيقظها

مما تميز به الإسلام على مدى تاريخه الطويل أنه لم يعرف الأحقاد الطائفية ، كما وأن الحروب الدينية غريبة على أرضه ، فقد أُلّف هذا الدين منذ بدأ يعاشر غيره على السماحة والمياسرة واللطف وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من قوانين ويضع من تقاليد ، وهو في ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالف له ومن ثم لم يفرض عليه حكمه في الحلال والحرام ، أو يقهره على الخضوع لشرائعه بل ترك أهل الأديان وما يدينون ، ذلك أن الإسلام يقرر أن اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم أمر طبيعي من ضرورات الحياة وفي هذا يقول الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (١) .

أفعال مريية من بعض أهل الكتاب :

دأب أعداء الإسلام من أهل الكتاب على العمل جاهدين على خلخلة عقيدة المسلمين وتشكيكهم في أفكارهم ومفاهيمهم الإسلامية ، فيرسلون إليهم بين حين وآخر نشرات تبشيرية وحكايات توراتية وصلت إلينا إحداها تحت عنوان ( محبة الله ) ، تضمنت قصة يونان بن أمتاي ( أي يونس بن متى ) كما جاءت في أسفار العهد القديم ، وهو الكتاب المقدس عند اليهود

(١) سورة هود : ١١٨ - ١١٩ .

والنصارى أو المسيحيين كما غلب على تسميتهم فى زماننا المعاصر ، والقارئ لهذه النشرة أو القصة لا يجد فيها ما يستلفت النظر ، لكن ما يثير العجب حقاً بل الدهشة أن ينعت الله سبحانه وتعالى فيها بالندم وذلك فى قوله :

١- ( لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه ) سفر يوناان الإصحاح

الثالث عدد ٩ .

٢- وفى قوله : ( فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه ) الإصحاح السابق عدد ٩ من السفر المذكور .

**غرور أهل الكتاب وتعصبهم المقوت على الإسلام والمسلمين :**

إن الغرور والتعصب ليسا حديثين فى هذه المعاملة الشائنة التى يلقاها المسلمون من أهل الكتاب يهوداً كانوا أو نصارى :

١ - فقديمًا أكد الفريقان أن الدنيا والآخرة لهما وحدهما فصور القرآن

هذا التفكير الضيق ورد عليه فى إيجاز وأدب ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

٢ - ثم بين القرآن الكريم أن على المسلمين مصابرة هؤلاء اليهود

والنصارى ورد عداوتهم برقة وحلم قال الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ

(١) سورة البقرة : ١١١ ، ١١٢ .

بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

٣- وما فات القرآن أن يقرر أن محاسنة هؤلاء الصنف من الناس لن تطفئ نيرانهم أبداً إذ أن راحتهم الكبرى هي في محو الإسلام ، وهدم مساجده ورد المسلمين قسراً عن عقيدتهم ، ومع استبانة هذا القصد السيئ في المسالك المعوجة لهؤلاء القوم فإن الإسلام لا يعاملهم بالمثل ولا يوحى لنيه ﷺ وأتباعه أن يعفوا على آثار الديانات السابقة ويمحوها من الوجود ، بل يكفي أن يطلب من نبي الإسلام ومن معه الثبات على الحق وعدم التزحزح عنه مهما لاقوا من صعاب<sup>(١)</sup> ، يقول الله تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِیَّتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٢﴾ .

أهل الكتاب لا يفقهون ما تعنى به كلمة الإسلام :

يبدو أن أهل الكتاب عموماً لا يفقهون شيئاً مما تعنى به كلمة (الإسلام) الذى يمتقونه ويرفضونه ، وإلا لكان لهم موقف آخر من المسلمين غير هذا الموقف البغيض العدائى ، وفى هذا المعنى يقول المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ( إذا أخذنا كلمة الإسلام بمعناها القرآنى نجدها لا تدع مجالاً لهذا السؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية :

(١) سورة البقرة : ١٠٩ .

(٢) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام تأليف الشيخ محمد الغزالي مطبعة حسان - بدون تاريخ

(٣) سورة البقرة : ١٢٠ .

فالإسلام فى لغة القرآن لىس اسما للدين خاص وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء<sup>(١)</sup> .

هكذا نرى نوحًا يقول لقومه : ﴿ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

ويعقوب يوصى بنيه فىقول : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>

وأبناء يعقوب يجيبون أباهم : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ آلَهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

وموسى يقول لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>

والحواريون يقولون للمسيح عيسى بن مريم : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>

بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٧)</sup>

---

(١) كتاب الدين تأليف الدكتور عماد عبد الله دراز مطبعة السعادة سنة ١٣٨٩ هـ - سنة ١٩٦٩ م

(٢) سورة يونس : ٧٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٣٢ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٣ .

(٥) سورة يونس : ٨٤ .

(٦) سورة آل عمران : ٥٢ .

(٧) سورة القصص : ٥٣ .

ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها فى قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ﷺ ويبين لهم فيها إنه لم يشرع لهم ديناً جديداً وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١) ثم ينظم القرآن الأنبياء فى سلك واحد ، ويجعل منهم جميعاً أمة واحدة لها إله واحد كما لها شريعة واحدة قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ (٢) .

ما هذا الدين المشترك الذى اسمه الإسلام ، والذى هو دين كل الأنبياء والمرسلين ؟ إن الذى يقرأ القرآن يعرف كنه هذا الدين : إنه هو التوجه إلى الله رب العالمين فى خضوع خالص لا يشوبه شرك ، وفى إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أى لسان ، وفى أى زمان أو مكان دون تمرد على حكمه ، ودون تمييز شخصى أو طائفى أو عنصرى بين كتاب وكتاب من كنه ، أو بين رسول ورسول من رسله هكذا يقول القرآن ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٣) ويقول : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤) .

(١) سورة الشورى : ١٣ .

(٢) سورة الأنبياء : ٩٢ .

(٣) سورة البينة : ٥ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ .

غير أن كلمة الإسلام قد أصبح لها في عرف الناس مدلول معين ، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد ( ﷺ ) أو التي استنبطت مما جاء به ، كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تخص شريعة موسى وما اشتق منها ، وكلمة النصرانية أو المسيحية تخص شريعة المسيح عيسى وما تفرع منها .

### علاقة الإسلام بالديانات السماوية السابقة :

إن علاقة الإسلام بالديانات السماوية في صورتها الأولى هي علاقة تصديق وتأيد كلي ، أما عن علاقته بها في صورتها المنظورة فهي علاقة تصديق لما تبقى من أجزائها الأصلية وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها .

ومع ذلك فإن الإسلام حرصاً منه على وحدة الأمة وتماسكها لا يكفل لغير المسلمين في بلاد الإسلام حرية عقائدهم وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم فحسب ، بل يمنحهم من الحرية والحماية ومن العدل والرحمة قدر ما يمنحه للمسلمين من حقوق عامة تطبيقاً للقاعدة الإسلامية ( لهم مالنا وعليهم ما علينا )<sup>(١)</sup> .

بل إنه يندب المسلمين إلى أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر وعدل وقسط قال الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) كتاب الدين تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز .

(٢) سورة المتحنة : ٨ .

## محبة الله وكيف تكون :

إن محبة الله يا أهل الكتاب ، يا من ترسلون النشرات التبشيرية والحكايات التوراتية ليست كلاماً مرسلأً يحمل في طياته خبث النفس وقذارة اليد وكره العشيبة وقسوة الخصام وقطع المودة وعداء المسلمين ولكنها اتباع لما يرضى المحبوب فمن أحب الله فليتبع حبيبه ومصطفاه محمداً ﷺ ، وليتأدب بما دعا إليه من فضائل وآداب ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

ولقد أطلق القرآن وصف الكافرين على المعرضين عن طاعة الله ورسوله لأن من تولى وأعرض ولو بقلبه فهو نافر من شرع الله كاره له فيكون بذلك كافراً .

القول بأن الله ندم على الشر وصف فيه افتراء على الله :  
هذه العبارات التي تنعت الله سبحانه بالندم لا يعقل البتة أن تكون وحيًا ، ونحن المسلمين نعتقد أن كتاب النبي موسى عليه السلام وكذلك الوحي النازل على سائر الأنبياء عليهم السلام يريء من هذا اللغو وما شابهه من عبارات الحزن ، والأسف والتعب والجهالة ، فهي من إضافات البشر ويؤكد ذلك أن جمهرة الفلاسفة والعلماء المؤمنين بالله يرفضون كل الرفض أن يوصف الله بما لا ينبغي أن يوصف به أو إسقاط صور ذهنية معتلة على ذاته المقدسة سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (٢) .

(١) سورة آل عمران : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) كتاب قذائف الحق منشورات المكتبة العصرية تأليف الشيخ محمد الغزالي بيروت

وبعد . . .

فإن ترويح هذه المنشورات الصليبية والقصص التوراتية بين المسلمين خدعة رديئة ، وحيل خسيصة لاتغيب دلالتها عن بصير ، وكفينا عزا نحن المسلمين أن نجد في وحينا وقرآنا التطابق واضحا مبينا بين عظمة الله في قوله وعظمته في عمله .

يقول جلت كلماته : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَرْذَاذُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ (١) .

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَهُ مَقَالِدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢) .

﴿هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣) .

﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ، وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٤) .

(١) سورة الرعد : ٨ ، ٩ .

(٢) سورة الزمر : ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) سورة الروم : ٢٧ .

(٤) سورة الأنعام : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (١) .

هذه هي حقائق القرآن العظيم ولن تتلاشى مطلقا ، أما الأساطير التي كذبت على الله وعلى الناس فلن تخلد ، وأن الصراط المستقيم صراط الإسلام لن تطمس شاراته أو تضيع آياته أبداً .

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (٢)

﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ، لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣) .

---

(١) سورة ق : ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٣) سورة الأنعام : ١٢٦ ، ١٢٧ .

## الخيـل

### ومكـة الـاهـتـمـام بـها مـن جـانـب الـاسـلام

وهب الله الخيل قدرًا من جمال الشكل وكرم الطبع وحدة القلب وعزة النفس وقوة الإدراك وحب الألفة ، وجعلها فى سرعة الطير وقوة الدابة ، ومنحها خفة النسيم ورشاقتة وعتو الريح وصولته مع ذكاء فى الكر والفر وحمية وشجاعة المتيقن فى القتال .

أما عن تسميتها بالخيـل عند العرب فذلك لاختيالها وزهوها فى مشيتها ، وقد افتتنوا بها لما فيها من خصال الشرف والمنافع والغناء فى السفر والحضر ، وفى الحرب والسلام وفى الزينة والبهاء ، وفى العدة والعتاد ما ليس فى غيرها من سائر الحيوان<sup>(١)</sup> .

#### ذكاء الخيل :

مما يثير الدهشة والعجب أن الخيل العتاق وهو نوع من أنواع الخيل يعرف بقوة إدراكه وشدة إحساسه حيال راكبه ، هل هو من أهل الفروسية والاعتیاد بركوب الخيل وضبطها ؟ فيستدل له ويعطيه من نفسه ما يريد أو أنه ليس من أهل الفروسية والاعتیاد بركوب الخيل وضبطها فيستصعب عليه ويتعزز فى نفسه ، ولا يمكنه مما يريد والعامّة تقول فى هذا المعنى ( الخيل تعرف ركابها ) .

---

(١) كتاب حياة الحيوان الكبرى لكamal الدين عماد بن موسى الدميرى الجزء الأول  
صفحة ٣٩٢ .

## عناية العرب بالخيال :

عندما سأل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب : كيف معرفتك بالخيال العرب يا عمرو ؟ أجابه بقوله : ( معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده ) ويقول أكنتم بن صيفى أحد حكماء العرب فى وصيته ( عليكم بالخيال فقيها حصون العرب ) .

وفى غريب الفقه فيما يتعلق بهذا المعنى أن الإمام ابن سيرين رحمه الله سئل عن أوصى بثلاث ماله فى الحصون فقال هو فى الخيل واستشهد على تفسيره بقول الشاعر :

إن الحصون متون للخيال لا المدر<sup>(١)</sup>

## أصناف الخيل :

الخيال على قسمين :

عرب وبراذين

فالعرب : هى الخيل العتيقة

والبراذين على قسمين : هماليج وزوامل

والمهاليج : هى السريعة السير المعدة لذلك

والزوامل : هى التى توكف ويحمل عليها المتاع<sup>(٢)</sup>

---

(١) مقال ( الخيل فى حياة العرب بقلم الأستاذ محمد العربى الخطابى ) نشر بمجلة الفيصل السعدية العدد ٧٥ رمضان سنة ١٤٠٣هـ - يونية سنة ١٩٨٣م نقلا عن مخطوط من التراث الأندلسى محفوظ بخزانة الكتب الملكية فى الرباط هو كتاب مطلع اليمن والإقبال فى انتقاء كتاب الاحتفال لعبد الله بن محمد بن جزى الكلبى الغرناطى من أعلام الأندلس .

(٢) المرجع السابق .

## ألوان الخيل :

أفضل الخيل وأشرفها الشقر ولقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال :  
( يمن الخيل في شقرها )<sup>(١)</sup> وقد رواه أبو داود والترمذي وذكر ذلك في  
كتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول - المجلد الرابع .

والأشقر هو من كان ذو حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب<sup>(٢)</sup> .

ويلى الشقر في الفضل والمزية الكمت والدهم ، قال الأصمعي : ( أشد  
الخيال جلوداً وحوافر هي الكمت اللحم ) وهي التي اشتدت حمرتها .

والعرب تقول : ( ملوك الخيل دهمها ) وهي التي يغشاها السواد أو

تميل إلى السواد .

وأهم ألوان الخيل عشرة وهي :

الدهمة ، والخضرة ، والصداء ، والكمته ، والوردة ، والشقرة ،  
والصفرة ، والعنابية ، والشهبة ، والبلق<sup>(٣)</sup> .

وكل واحد من هذه العشرة الألوان يتنوع إلى أنواع ويتفرع إلى أقسام  
يضيّق هذا المقام عن ذكرها ولمن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى الكتب  
المتخصصة عنها .

## ذكر الخيل في القرآن الكريم :

١ - ولقد ذكر الكتاب الكريم الخيل في معرض استعراض القوة من  
المسلمين وإعداد العدة والسلاح لإرهاب أعداء الإسلام وهذا في قول الله  
تعالى :

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي لفظ شقر .

(٣) مقال الخيل في حياة العرب - المرجع السابق .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (١) .

٢- وفي طبقات ابن سعد بسنده عن غريب المليكي أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢) من هم فقال : ( هم أصحاب الخيل ) .

٣- وسماها الله سبحانه وتعالى بالخير في قوله جل وعلا حكاية عن سليمان عليه السلام : ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٣) .

٤- كما ورد ذكر الخيل في سورة العاديات وذلك في قوله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ (٤) وهي خيل الغزو التي تعدو فتضج أى تصوت بأجوافها (٥) .

### ذكر الخيل في السنة النبوية

١- في صحيح السنة عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يلوى ناصية فرسه بأصبعه وهو يقول : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » .

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٧٤ .

(٣) سورة ص : ٣٢ .

(٤) سورة العاديات ١ .

(٥) مختار الصحاح المرجع السابق لفظ ضح .

ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم لها كأنه معقود فيها .

والمراد بناصيتها الشعر المسترسل على جبهتها وكنتى بالناصية عن جميع ذات الفرس وهو واحد الخيل ، وهذا الاسم يقع على الذكر والأنثى كما تقرر ذلك معاجم اللغة .

٢- وعن ابن عمر رضى الله عنهما ( أن النبي ﷺ سابق بين الخيل التى ضمرت وكان أمدها من الحفياء إلى ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية إلى مسجد بنى رزيق )<sup>(١)</sup> .

والضامر من الفرس هو الخفيف اللحم من الأعمال لا من الهزال .

٣- كما روى النسائي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي الجعد عن جميل الأشجعي رضى الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء فكنت فى آخر الناس فلحقنى النبي ﷺ فقال : « سر يا صاحب الفرس » فقلت : يا رسول الله إنها فرس عجفاء وضعيفة قال : فرفع النبي ﷺ مخففة كانت معه فضربها بها ، وقال : « اللهم بارك له فيها » فلقد رأيتنى ما أملك رأسها حتى صرت قدام القوم ، ولقد بعث من بطنها بائنى عشر ألفاً .

٤- وروى الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك عن الزهري عن سالم وحزمة ابنى عبد الله بن عمر عن أبيهما رضى الله عنهم ، أن النبي ﷺ قال : « إن يكن الخير فى شىء ففى ثلاث المرأة والدار والفرس » .

٥- ولما كان للخيل فى الحرب ما لها من البطش فى الدفاع وحصانة الامتناع فى ذلك الزمان فرض رسول الله ﷺ فى المغام للفرس سهمين

---

(١) رواه الشيخان .

ولصاحبه سهمًا واحدًا فكان الفارس يعطى ثلاثة أسهم ، أما الرجل فكان لا يعطى إلا سهمًا واحدًا ولقظ الرجل يعنى الراجل أى الذى يحارب راجلاً دون أن يركب<sup>(١)</sup> .

أسماء خيل رسول الله ﷺ :

أولاً - السكب : وهو من سكب المال كأنه سيل اشتراه من رجل من فزاره كان اسمه قبل أن يشتريه الضرس .

ثانيا - المرتجز : سمي بذلك لحسن صهيله .

ثالثاً - اللخيف : كأنه يلحف الأرض لجريه ، ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة .

رابعاً - اللزاز : ومعناه أنه ما سابق شيئاً إلا لزه أى أثبتته وألصقه .

خامساً - سبحة : وهو الذى سابق عليه ﷺ فسبق ففرح بذلك .

سادساً - الورد : أهدها له ، نعيم الدارى وقد وهبه ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله فحمل عليه عمر فى سبيل الله تعالى<sup>(٢)</sup> .

وقد زاد بعض المؤرخين فى أفراس رسول الله حتى وصل بها إلى خمسة عشر وهى :

---

(١) مقال الخيل فى حياة العرب المرجع السابق .

(٢) مقال الخيل فى حياة العرب - المرجع السابق - وكتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميرى المرجع السابق .

الأبلى ، وذو العقال ، والمرجل ، وذو اللمة ، والسرحان ، واليعثوب ،  
والبحر وكان كميثا ، والأدهم ، وملاوح ، والظرب ، والشحاء ،  
والمراوح ، والمقدام ، والفرس ، واليعسوب (١) .

### شعرات خاتم النبوة كانت كعرف الفرس :

يروى أن حبراً يهودياً سكن مكة المكرمة قبل ميلاد النبي ﷺ يبيع  
بها تجارات فأتى ذات غدوة إلى مجلس فيه ملاً من بنى عبد مناف  
وبنى مخزوم فقال هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ فقالوا ما نعلمه فقال  
أما إذا أخطأكم فاحفظوا ما أقول لكم : ولد الليلة نبي هذه الأمة الآخرة  
وآيته أن بين كتفيه شامة صفراء حولها شعرات متابعات كأنهن عرف  
فرس .

فتصدع القوم من مجلسهم يتعجبون لقوله ، فلما صاروا إلى منازلهم  
أخبرهم نساؤهم أنه قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام ، فلما التقوا  
في ناديتهم تحدثوا بذلك وجاءهم اليهودي وأخبروه فقال اذهبوا بي إليه  
حتى أراه فخرجوا به ، فدخلوا على آمنة بنت وهب ، وقالوا أخرجني  
إلينا ابنك فأخرجته لهم فكشفوا عن ظهره فرأوا خاتم النبوة فأغمى  
على اليهودي ، فلما أفاق سأله فقال خرجت النبوة من بنى إسرائيل  
وخرج الكتاب من أيديهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يا معشر  
قريش ؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى  
المغرب (٢) .

(١) كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد النويري السفر العاشر  
طبعة دار الكتب العربية صفحة ٣٣ وما بعدها .

(٢) كتاب نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار تأليف الشيخ الشبلنجي الشافعي  
المدعو بمؤمن . صفحة ٩ طبعة المحمودية بمصر المحمية سنة ١٣١٣ هـ .

زيد الخيل :

كان زيد الخيل ويدعى ( أبو مكنف ) فارسًا مغوارًا مظفرًا شجاعًا بعيد الصوت في الجاهلية وهو القائل في شعره :

بنى عامر هل تعرفون إذا غدا      أبو مكنف قد شد عقد الدوائر  
بجيش تفضل البلق في حجراته      ترى الأكم فيه سجدًا للحوافر  
وجمع كمثل الليل مرتجر الوغى      كثير تواليه سريع البوادر

وقد أدرك ذلك الفارس الإسلام فاهتدى بهديه ، ولما استقبله رسول الله ﷺ قال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله فقال الرسول ﷺ : ومن أنت ؟ قال أنا زيد الخيل بن مهلهل فقال رسول الله ﷺ : « بل أنت زيد الخير ، الحمد لله الذى جاء بك من سهلك وجبلك وأرق قلبك على الإسلام ، يا زيد ما وصف لى رجل قط فرأيتَه إلا كان دون ما وصف به إلا أنت فإنك فوق ما قيل فيك ، إن فيك لخصلتين يجبهما الله قال زيد : وما هما يا رسول الله ؟ قال : « الأناة والحلم » .

فقال زيد : الحمد لله الذى جعلنى على ما يحب الله ورسوله<sup>(١)</sup> .

### أبو الطيب المتنبى والخيل

قال ابن رشيقي في عمدته فى باب منافع الشعر ومضاره : إن أبا الطيب المتنبى لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي ، وأجزل جائزته رجع من عنده قاصدًا مدينة بغداد ، وكان معه جماعة فخرج عليهم

(١) كتاب السيرة النبوية لابن هشام الجزء الرابع تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإيبارى وعبد الحفيظ شلى وكتاب السيرة النبوية فى ضوء روايات الإمام الطبرى - الجزء الأخير رجب سنة ١٤٠٩هـ الملحق بمجلة الأزهر صفحة ١١٠ .

قطاع الطريق بالقرب من بغداد فلما رأى الغلبة لهم فرَّ هارباً فقال له غلامه :  
لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القاتل :

الخيال والليل والبيداء تعرفني الحرب والضرب والقرطاس والقلم

وعندئذ كر أبو الطيب المتنبي راجعاً وقاتل حتى قتل فكان سبب قتله  
هذا البيت من الشعر وقد حدث ذلك في شهر رمضان سنة ٣٥٤ هجرية<sup>(١)</sup> .

### الفروسية وإساءة استغلالها في الحروب الصليبية :

الفروسية تتمثل أصلاً في حماية الضعفاء وعقاب مرتكبي الجور والظلم  
أينما وجدوا ، وتولى أمر كل قضية كريمة أو عادلة حتى تفوز وتنتصر لتشير  
ذكريات الاستبسال العفيف ، والتضحية الفردية والجماعية وإغاثة الملهوف  
وإجلال السمو الأخلاقي لتحرك في النفس معاني السماحة والباسمة وسط  
المخاطر والرقعة الواعدة التي تلازم القوة .

ولكن هذه المعاني النبيلة والأهداف العالية ، والمرامى السامية استغلت  
استغلالاً يتنافى مع كل مرمى شريف أو هدف أخلاقي نبيل في حملات  
الحروب الصليبية على بلاد الشرق في القرون الوسطى ، حيث تجرد  
الفرسان النصارى من كل معاني السمو والشرف والسماحة والعدل فبلغوا  
غاية الطغيان وكانوا أظلم من الظلم .

وتشهد عليهم شوارع مدينة القدس القديمة التي سالت فيها دماء  
الأبرياء بغزارة من سيوف أولئك الفرسان التي أعملوا في أهلها ذبحاً

---

(١) كتاب حياة الحيوان الكبير لكamal الدين محمد بن موسى الدميري الجزء الأول

وقتلًا للأطفال والنساء والشيوخ ولم يستثنوا أحدًا من سكانها بل أبادوهم جميعًا .

ويقول غوستاف لوبون في مؤلفاته عن حضارة العرب : ( إن قومه الصليبيين قتلوا في تلك المجزرة ما ينوف على ستين ألفًا من المسلمين ) .  
أما ابن خلدون فيصف تلك النكبة في كتابه العبر بقوله : ( إنه قد أحصى القتلى بالمساجد فقط من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين فكانوا سبعين ألفًا أو يزيدون .

ويعلق المؤرخ ويلز Wells فيقول : ( إن دم المقهورين في مذبحه بيت المقدس الرهيبة كان يجرى في الشوارع حتى لقد كان الفرسان الصليبيون يصيهم رشاش الدم وهم راكبون ) .

ونحن لا ندهش من قسوة أولئك الفرسان الأوربيين إذا علمنا أن أسوأ ما بهته الفروسية في مجتمع العصور الوسطى بأوروبا هو عاطفة وحشية من التعصب الديني الأعمى ، إذ أن الكنيسة هناك أفلحت في أن تبسط نفوذها وسيادتها على الفروسية المسيحية ، وكما طارت صرخة الكنيسة في أمم أوروبا بشن الحرب الصليبية على بلاد الإسلام كانت الفروسية الأوروبية على قدم الاستعداد والأهبة لخوض تلك الحروب القدرة ، يحدوها تعصبها الذميم وحقدتها الدفين على الإسلام والمسلمين .

هل تكفى الخيل ورباطها لإرهاب العدو في زماننا المعاصر :  
كان رباط الخيل وقت ظهور الإسلام كافيًا في إعداد قوة الحرب والردع وحراسة الثغور ، ولكن الحروب الآن تطورت في أساليبها مما اقتضى تطور وسائل الردع ضد العدو ، وذلك بإقامة الحصون الثابتة المزودة بأحدث أنواع الأسلحة والمناظير القوية البعيدة المدى ، والأقمار الصناعية الكاشفة ،

وذلك لإحكام مراقبة تصرفات العدو عن بعد ، وتنبيه قيادة جيوش المدافعين إلى خططه والمساعدة إلى رده قبل أن يباغتهم والاهتمام بإعداد الجيوش وتدريبها وتزويدها بشتى الأسلحة الحديثة ، سواء الخفيفة كالبنادق والقنابل ، أو الثقيلة كالمدافع والمدافع والطائرات المقاتلة والقاذفة والصواريخ الموجهة ، والمدفعية بعيدة المدى والأساطيل البحرية التي تحمي شواطئ البلاد الإسلامية ، والغواصات التي تحمي أعماق بحارها الإقليمية وغير ذلك من الأسلحة المتطورة في حالات الدفاع والهجوم مما تقتضيه ضرورات الحروب الحديثة ، فضلاً عن الأجهزة التي تجمع له المعلومات عن جيوش العدو في عدده وعدته وخططه مما يسمى بالاستخبارات في وقتنا هذا .

والإسلام في دعوته المسلمين إلى سلوك طريق القوة لا يجب لأبنائه الدعة اللطيلة أو المعيشة المستكينة ولا الرضا بالهوان وحتى غزوات رسوله ﷺ ، لم تكن للإيذاء أو العدوان بل شرعت لرد أذى المعتدين ودفع الظلم عن المسلمين ، فهي دفاع عن النفس والدين وإبلاغ دعوة الله للعالمين .

قال الله تعالى : ﴿ اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الحج : ٣٩ .

## أمة النمل من عجائب خلق الله تعالى في هذا الكون

من عجيب الأمثال قولهم اضبط من النمل ، ومع ذلك فهي ذات حس لطيف، وتقدير مصيب، ونظر في العواقب غريب، ولقد بلغ من تفقد النملة وحسن تدبيرها أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها في الصيف لزمن الشتاء أن تفسد وتسوس ويقلبها بطن الأرض، فتخرجها إلى ظهرها لتيسرها وتعيد إليها الجفاف تحت أشعة الشمس أوليضرها النسيم وينفي عنها الفساد.

وعندما تجد مكانها نديا وخافت أن تنبت به الحبوب نقرت موضع القطمير من وسط الحبة وسبحان من ألهمها أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب ، فهي تفلق الحب كله أنصافاً ، وأعجب من ذلك أنه إذا كان الحب من نوع الكزبرة فلقته إلى ثلاثة أقسام أو فلقته أرباعاً لأن أنصاف حبة الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب فهي على هذا الوجه مجاوزة لقطنة جميع الحيوان حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس (١) .

---

(١) كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الجزء الرابع تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون سنة ١٣٥٩هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

مدى همة النمل وجرأتها وتعاونها مع جنسها :

كثيرا ما يرى الإنسان نملة واقعة على حشرة مثل الجراد أو الصرد<sup>(١)</sup> فترومها وتحاول قلبها ونقلها فتسحبها وتجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت عذراً مضت إلى جحرها راجعة فلا يلبث ذلك الإنسان أن يرى تلك النملة قد أقبلت ، وخلفها صويحاتها كالخيط الأسود الممدود فيتعاون على تلك الفريسة حتى يحملنها مما يفسر لنا بعد الهمة والجرأة من جانب النملة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة وأكثر من ذلك ، ولهذا فإنه من حركتها اشتق اسمها فسميت النملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها<sup>(٢)</sup> .

كيف يبنى النمل أعشاشه :

يبنى النمل أعشاشه عادة تحت الأرض ، وهي مجوفة تتكون من طوابق قد تصل إلى عشرين طابقاً في جزئه الأعلى وعلى عدد مماثل من الطوابق تحت سطح الأرض ، ولكل طابق غرضه الخاص الذي تحدده أساساً درجة الحرارة فالجزء الأكثر دفئاً في العش يحتفظ به خصيصاً لتربية صغار النمل ، وباقي الأجزاء يتم توزيعها طبقاً لحاجة العمل والتخزين واحتفاظه بالحبوب التي يستولى عليها ، ومن مجموع أعشاش النمل تتكون مستعمرة النمل أو وادي النمل والتي يصل عدد أعشاشها إلى مائتي عش يحتوي كل منها على عدد يتراوح بين خمسة آلاف إلى خمسمائة ألف<sup>(٣)</sup> .

(١) هو نوع من الحشرات الأرضية يصرصر كالصقر وقيل طائر فوق العصفور يصيد العاصفير - انظر لسان العرب لابن منظور الأنصاري المصري الجزء الرابع .

(٢) كتاب حياة الحيوان الكبرى لكamal الدين محمد بن موسى العميري الجزء الثاني .

(٣) كتاب عالم الحيوان بين العلم والقرآن للمرحوم عبد الرزاق نوفل باب عالم النمل .

## مخ النملة :

يتشريح جسم النملة ودراسة أجزائها دراسة تفصيلية بالاستعانة بأجهزة الفحص والتصوير الاليكترونى ، واستخدام الأشعات المختلفة تبين وجود مخ عجيب للنملة ، يؤكد ذكاءها فهو رغم صغر حجمه الذى يقل عن المليمتر ولا يرى إلا تحت المجهر فإنه يتكون من فصين رئيسيين كمنخ الإنسان وبه من المراكز العصبية والخلايا الحساسة ما للإنسان تمامًا إلا أنها تختلف عما فى الإنسان ، فى أن الخلية العصبية الواحدة للنملة تختص بكل وظائف الحواس من بصر وسمع وشم وحركة ، وأن مادة النباهة والذكاء الموجودة بمخ النملة تكون على شكل أجسام دقيقة مغمورة فى السوائل والدهون المحيطة بتلك الأجسام<sup>(١)</sup> .

القرآن الكريم أشار فى محكم آياته إلى ذكاء النمل :

لعل القرآن الكريم أشار فى محكم آياته إلى ذكاء النمل وبصره بالأمر ، وذلك فى قوله تعالى عن جيوش سليمان عليه السلام لما مرت على وادى النمل إذ صاحت نملة تحذر بنى جنسها من تلك الجيوش وتنصحهم بالدخول إلى مساكنهم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

النمل من أنبل وأسخر المخلوقات إيثارًا للغير :

حيا الله النملة فى خلقتها بكيس غير عادى عند مدخل بطنها يطلق عليه العلماء ( الكيس الاجتماعى - أو أبريق السكر أو الزجاجة الجلدية )

(١) للرجع السابق .

(٢) سورة النمل ١٨ .

وهو منفصل تمامًا عن معدة النملة لذلك فهو لا يحتوي على غدد هضمية ، ولكن مهمته تبدأ بعد أن تحصل النملة على حاجتها الغذائية وذلك بالاحتفاظ بباقي الطعام المكسب بداخله سليماً على هيئة سائلة سكرية ، ولما كان هذا الكيس مطاطي الشكل حار قابلاً للتمدد إلى درجة تجعله يصل إلى ثلثي أو عشر مرات حجم المعدة في النملة ، وإذا كان النمل في العش الواحد إنما يأكل كل جميعه مما سبق له تخزينه ، ومن كميات الطعام المتاحة أمام سكان عشه لم يكن هناك خوف على جوع واحدة من أفراد ذلك كان احتفاظ النملة بكيستها الغذائي إنما هو لتغذية نمل من غير عشها ويصل الإيثار بها إلى أن تقدم من غذاء هذا الكيس الاجتماعي للنمل العدو أو لذلك الغريم إن كان محتاجاً إلى الطعام قبل بدء المعارك والحرب فيما بينها ، فلا يتدخل الغذاء في سير القتال لأن الغذاء هو رزق الله الذي قدره لكل خلقه ، فلا يجوز أن يستغل فيضغط به أو يحارب عليه ، كما توصلت الدراسات العلمية إلى أن النملة الجائعة لا تسأل من تقابله من النمل عن جوعها ، بل تتحسس النملة الأخرى بنفسها معدة صديقتها أو عدوتها حتى تدرك حقيقة شبعها ، أو درجة جوعها ويتم ذلك بقرون الاستشعار الموجودة عندها ، والغريب أنها عندما تخرج الغذاء من كيسها الاجتماعي تكون النملة المعطية في حال من النشوة والسعادة لا مثيل لها فأين هذا مما يحدث في وقتنا الحالى من مجاعة شملت الملايين من بنى البشر في كثير من الدول الأفريقية ، فتصرف الهيئات الحاكمة فيها أو في غيرها بالنسبة للجائعين تصرفات عرقية أو غير إنسانية ، ففى ألبانيا مثلاً ترفض الحكومة النصرانية أن توصل الغذاء إلى الجائعين المسلمين بحجة مخالفتهم لها فى الدين ، فتضطرهم إلى الهلاك جوعاً أو الهجرة جماعات لأقرب الدول الإسلامية .

ودولة أخرى مثل إسرائيل لا تقوم بإنقاذ الجائعين أو مساعدتهم بشيء من الغذاء بل تعمل فقط على إنقاذ من يتفق معها في عقيدتها ولذلك نقلت عشرة آلاف يهودى أثيوبي ( وهم الفلاشة ) خشية هلاكهم فى المجاعة وقامت بتوطينهم فى فلسطين ، مع أن الأصل فى المجاعات محاولة إنقاذ الناس عموماً دون تمييز بين اليهودى والنصرانى والمسلم ، إنما الأصل أن يكون التمييز بين من يتعرض حالاً للهلاك جوعاً ومن يتعرض له أقل من ذلك .

ما ورد عن النمل فى السنة النبوية المطهرة :

روى الترمذى الحكيم فى نوادره عن معقل بن يسار قال قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه وشهد به على رسول الله ﷺ قال : ( ذكر رسول الله ﷺ الشرك فقال هو فيكم أخفى من ديب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم ، وأستغفرك لما تعلم ولم أعلم يقولها ثلاث مرات ) .

وروى أيضاً عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : ( ذكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على أذنكم ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلمى الناس الخير ) قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : ( نزل نبى من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها

فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة ) قال عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول لم يعاتبه الله على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البرىء بغير البرىء .

وقال القرطبى : إن الله تعالى أراه فى تلك الواقعة العبرة لما لدغته نملة كيف أصيب باقى النمل بعقوبتها يريد تعالى أن ينهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصى فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع وسوءا ونقمة وعذابا على العاصى .

### الخليفة المأمون والنمل :

روى أن رجلاً استوقف المأمون لىسمع منه فلم يقف له فقال : يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة لىستمع منها وماأنا عند الله بأحقر من نملة ، وماأنت عند الله بأعظم من سليمان فقال له المأمون صدقت ووقف ، وسمع له وقضى حاجته<sup>(١)</sup> .

### لغة النمل :

لقد ثبت بالأدلة العلمية المادية والتجريب المعملى أن للنمل لغة منطوقة ومسموعة ومفهومة وهذا ماأدهش العلماء ، وأثار عجبهم<sup>(٢)</sup> ، والأعجب من ذلك أن القرآن الكريم سبق العلماء فى ذكر هذه الحقيقة العلمية فقد قرر فى آية النمل السابق الإشارة إليها فى صراحة ووضوح أن نملة قالت والقول إنما يكون بلغة منطوقة ومسموعة ومفهومة ومما يؤيد بل ويؤكد ذلك أن الآية التالية لها مباشرة تقرر عن سليمان عليه السلام قوله تعالى عنه : ﴿ فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

(١) كتاب حياة الحيوان لكمال الدين محمد بن موسى الهميرى الجزء الثلثى .

(٢) كتاب عالم الحيوان للمرحوم عبد الرزاق نوفل .

التي تَعَمَّتْ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ  
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾ .

فكان تبسم سليمان عليه السلام من قول النملة المذكورة .

وهكذا أورد القرآن الكريم منذ إشراق نوره وظهور الإسلام قبل  
أربعة عشر قرناً من الزمان هذه الحقيقة العلمية في عالم النمل ، والتي  
لم يصل إليها العلم إلا في أيامنا هذه من زماننا المعاصر بعد دراسات  
شاقة وأبحاث علمية جادة وصدق الله تعالى إذ يقول في محكم قرآنه :  
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النمل ١٩ .

(٢) سورة فصلت ٥٣ .